
32
جوهرة
النفق الأسود
علاء الدين طعيمة
دار الدعوة



النفق الأسود

.. فقد فوجئ جعفر بعقرب أسود لم ير مثله من قبل وقبل أن يخبر من معه إذا بجيش من العقارب يندفع من بين الشقوق التى تملأ الصخور كأنهم مسلطون عليهم .. انتفض الجميع يجرون فى كل مكان .. مبتعدين ..

تطلب من **الدار العربية للتوزيع**
٢ ش منشا محرم بك الإسكندرية
ت: ٤٩٠٧٩٩٨ ـ ت/فاكس: ٥٩٥١٦٩٥

التوزيع بالمملكة العربية السعودية
دار العلياء للنشر والتوزيع
الرياض: ٤٦٢٨٧٩٢ ـ جدة: ٦٦٩٦٥٧٣
/الدمام: ٨٣٢٢٨٧٣

سلسلة

مغامرات عجيبة جداً ..

32

جوهرة

النفق الأسود

الطبعة الأولى
١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م

رقم الإيداع القانونى
٩٥٣٩ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : 977-253 259-X

تحذير

دار الـدعـوة للطبع والنشر والتوزيع
المركز الرئيسى : ٢ ش منشا ـ محرم بك ـ الاسكندرية
☎ ٤٩٠١٩١٤ ـ ٤٩٠٧٩٩٨ ـ فاكس ٥٩٥١٦٩٥

جوهرة

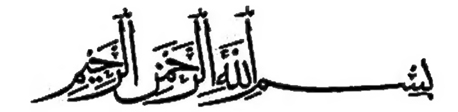
النفق الأسود

تاليف / علاء الدين طعيمة

رسوم / يسري حسن

الإشراف العام / أحمد خالد شكري





إلى الجنوب السحيق.. تكون وجهة مؤمن هذه المرة.. ليس جنوب مصر فى الصعيد السفلى ولكن إلى أبعد من ذلك بكثير.. إلى أقصى جنوب القارة الأفريقية.. حيث الخيرات الطبيعية والأنهار الجارية بلا حدود والأهالى السود الطيبين.. هناك ماأخبره بالطبع مثل كل مغامرة أن جوهرته الحالية عليه أن يسلك الطريق إلى جنوب أفريقيا من أجلها. ولقد تطلب ذلك منه أن يستقل السفن فى عدة رحلات، وتم له الوصول بحمد الله. وهناك على أحد السواحل الجميلة هبط من السفينة.. جمع كل حاجاته على ظهره وسار يخترق الطريق حيث كانت مدينة حيوية تكتظ بأعمال الزراعة والتجارة.

لم يكن يدرى على وجه التحديد فى أى مكان سيبيت

ليلتـه.. لقد كـان على مقـربة من المدينة.. فـالطريق الممهـد اتضحت مـعالمه.. فالتقمـت أوله قدماه يسير بـين الأشجار البـاسقـة يستـمتع بالغـروب الجميـل ويأمل أن يصل المدينة وأهلها مستيقظين.

كان يود أن يجد الجوهرة فى جو من السلام.. فهو دائما يتسـاءل عن سبب كون كل جـوهرة لابد أن تحمل مغـامرة قوية يتعرض فـيها للموت والأهوال ألا من مرة يعـثر عليها بدون مشكلات؟

إنه يأمل ذلك فى هذه المـرة.. فسـار يتـرنم بنشـيـد دينى جمـيل كان يعجـبه ولكن فيـما يبدو أن حلمـه قد انقطعت خيوطه فى الحال.

لقد رأى عـلى البعد شـبح رجل يجرى فى اتجـاهه رغم

بعد المسافة الشاسع.. ولكن وضوح الطريق أظهره.. وفجأة انتحى الرجل ينصـرف من الطريق وهو يجرى ودخل وسط الغـابة.. ولم تمض دقـائق حتى رأى مـجـموعـة من الناس تتقدمهم فيما يبـدو كلاب حراسة وانحرفوا فى نفس الاتجاه خلف الرجل.

أدرك مـؤمن أن هناك مطـاردة وظن أن الرجل مـاهو إلا لص سرق شيئا وأهل المدينة يتـبعونه ويريدون الإمساك به.. لكنه مع ذلك لم يـشأ أن يقـحم نفـســه مـبكراً فى مـشكلة لايعلم كنهـهـا.. لايريد أن تكون أول مـقابـلة له مع المدينة بهـذا الشكل.. كـمـا أنه رغب ألا يتـدخل فى مـشكلات.. يريد سلامـاً داخلياً وخارجـياً ولم يعنه الأمـر بالمرة.. وتقدم فى طريقـه ولمح على البعـد قبل أن يقـترب.. نفس الـرجال

يجــرون الرجل الذى كــان يــفــر منهم.. فـطاب له أن يرى المشكلة انتـهت وبعــد ســاعــة دخل المدينة فــوجـد بيــوتهــا جــميلة.. لكل بيت حــديقــة تحيط به كــمــا أنه توجـد على أطرافهــا عدة قصور متــفرقة.. هذا مما أثلج صــدره وأشعره بالارتياح.

لم يكن مــجهــدا بالقدر الذى يدفــعه للنوم مــبكراً.. بل ذهب يتــجول فى شــوارع المدينة.. ولاحظ أن معظم أهلــها من ذوى البشــرة البيضاء الذين أتــوا من الشمال البعــيد فى حين أن الزنوج وهــم السكان الأصليين عددهم فــيمــا يبدو أقل من المفروض.

وقادته قــدماه إلى أجمل القــصور.. كان قــصراً بهيــاً مطلياً باللون الأبيض.. حوله حديقة لاسور لها تلتحم مع العشب

الأخضر الممتد خارج المدينة إلى الغابة المتاخمة لها مباشرة.

كان الليل يبسط جناحيه على المدينة عندما كان يجذبه ضوء مـصابيح الـقصـر فـذهب نحوه وأخـذ يدور حـوله.. وفى الخلف شاهد مزرعة كـبيرة بها عدة بيوت صغـيرة أو كأنها مسـاكن الخدم الملحقـة بالقصر.. وقـبل أن يهم بالانصراف سمع لغطاً وكلاماً كثيراً.. فـتوقف خلف شجرة من أشجار الجازورينا الباسقة يراقب الموقف.

انفتح بـاب فى شرفة القـصر الخلفـية وظهر مـجمـوعة من الرجال يقـودون رجلاً مكبلاً فـأدرك على الفور أنهم الذين رآهم قبل دخول المدينة.. كـانوا كلهم من البيض أما الرجل المقيد فهو زنجى يبدو أنه تعدى العقد الرابع من عمره بكثير. وفتحت شرفة أخرى واسعة وظهر رجل أبيض وقور.. عليه

ســمات العظمــة والثــراء ووقف يتفــرج على الرجـال وهم يقتــادون الزنجى حتى توســطوا به المزرعة ثم صــاح بصوت عالٍ له هيبة شديدة، فليخرج كل الزنوج الآن.

وفجأة فـتحت البيوت وخرج منـها بعض الزنوج رجالاً ونساءً ووقفوا يراقبون الموقف فى حزن شديد.

وألقى الرجال الرجل أرضا.. وكان أحدهم يمسك بلطة ثقـيلة.. وانحنــى رجلان عـلى الزنجى.. واحــد أمــسكه من كتفيـه وثبتهما بالأرض.. أما الآخر فـقد ثبت احدى رجليه بشدة ونظروا لصاحب القصر الذى صاح قائلاً:

ـ جزاء الذى يحاول الهرب من سيده أن تقطع قدمه.. نفذوا العقاب ليرتدع الباقى.

وكاد مؤمن أن ينطلق ليمنعهم ولكن البلطة كانت أسرع

منه عندما هوت على قـدم الزنجى المسكين فقطعهـا وصرخ الرجل صراخا يأخذ بنيـاط القلوب. ودخل صاحب القصر وانصـرف الذيـن نفـذوا العـقـاب.. وجـرى الـزنوج نحـو المصاب فحملوه ودخلوا به أحد البيوت وهو لايزال يصرخ من الألم.. وكان هذا المشهد كفيلا بدفع مؤمن إلى الجلوس مكانه من التعب والحزن.

وبعد قليل أحس أن هذه القلوب المكلومة وراء الجدران المتعفنة فى هذه المزرعـة تحتاج إلى معونتـه للتغلب على هذا الظـلـم. أدرك أن هذه البـــلاد تعــــيش عـلى نظـام الرق والاستعباد.. وأنه مازال هنا الانسان يباع ويشترى فى سوق النخاسة. وأن بيض البـشرة يستعبـدون الزنوج ويحرمونهم من حقهم فى الحرية .. بل يعاقبونهم بأشد أنواع العقاب إذا

ماحاول أحدهم أن يهرب أو أن يطلب الحرية.

قـــرر مـؤمن أن يـزور هؤلاء الناس وأن يكون بـينهم.. يتحدث إليهـم يواسيهم ويعاونهم، سار حثيـثا ثم لما أصبح أمام الباب دق عليه برفق:

- من أنت.

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

- وعليكم السلام .. من أنت وماذا تريد .

- لايأتى إنسان أبيض إلينا ليزورنا.. ماذا تريد؟

- أريد أن أجلس إليكم بعض الوقت.

- اذن تفضل.

دخل مؤمن البيت الحقـير.. ووجد المسكين على الفراش حوله شابين وفتاتين وامرأة عجوز، اقترب مؤمن من الرجل



فوجد قدمه قد فصلت تماماً عن ساقه فواساه وأخذ يعاونهم في تضميد جرحه وهم يتعجبون منه.

كان مؤمن أبيض البشرة وكانوا لايثقون في إنسان أبيض أبداً. ولكنهم تعجبوا من رغبته الشديدة في معاونتهم ولم يطمئنوا له تماماً إلا عندما عرفوا أنه يدين بدين الإسلام وبعد مرور الساعات على هذا الحال وتمكن الرجل المسكين المصاب من النوم جلسوا إلى مؤمن:

- اسمي مؤمن.

- وأنا علي وهذا جعفر وهذه بسمة وهذه زينة.

- هل تعملون هنا منذ الصغر.

قالت بسمة:

- ولدتني أمي هنا أما زينة فقد اشتراها السيد وهي طفلة.

ـ وعلى وجعفر.

قال جعفر :

ـ باعنا رجل بعـد أن سـرقـنا من غـانا وأحـضـرنا للسـوق واشترانا مندوب السيد منذ حوالى سبع سنوات.

ـ هل هناك غيركم هنا من الزنوج.

ـ أم بسمة تـعمل وصيفة داخل القـصر.. سنها كبـير لكنهم يحبونها.. ورجل آخر يعمل فى تـعليم الفتيات فى القصر تنسـيق الزهور.. رجـل عـجوز.. لـكن لديه مـوهبـة فى تنسيق كل شئ.. كل المناظر الجـميلة فى القصر والحـديقة هو الذى قام بها.

ـ وانتم .. ماذا تعملون هنا؟

ـ جعفـر يعمل فى الاسطبل.. وظيفـته رعاية الخيل وتوفـير

المأكل والمشــرب لهــا.. بل وصنع الحـدوات والأسـرجـة وكل لوازمهـا. أما أنا فمهمـتى زراعة الحديقة والمسـاعدة فى الأعمال الثقيلة أثناء تنظيم القصر.. بسمة هى المسئولة عن تنظيف القـصر وأنا أعـاونها فى ذلك.. أما زيـنة فهى تساعد الطباخة البيضاء فى المطبخ.. فهم لايثقون فى كون من يقدم الطعام لهم أن يكون منا.

ـ ومن هذا الرجل المسكين الذى حاول الهرب.

ـ آه.. هذا هو بدير.. وهو سائق عربة السيد.. مسكين.

ـ ولماذا فكر فى الهرب.. ولماذا لم تهربوا معه.

ساد صمت ووجوم وقالت بسمة:

ـ إن بدير الوحـيـد الذى يخـرج السـيـد فى العـربة خـارج القصـر.. نحن هنا لانرى الدنيا ولايستطيع واحـد فينا أن

يخرج بعيداً عن هذه المزرعة.. أمـا بدير فقد رأى الحياةفى المدينة.. عرف الفرق بين الحـرية والعبودية.. كان كل يوم يحلم أن يكون حـراً.. وهذه نهايتـه.. ولست أجد إجـابة واحدة على سؤالك أكثر من ذلك السوء الذى حاق به.

ـ ولكنه مـع ذلك أفـضلـكم.. لأن الحـرية تـعنى الحـيـــاة.. والعيش فى الذل هو الموت بعينه.

ويبدو أن هذه كانت صفعة قوية من مؤمن.. لقد أطرقوا ينظرون للأرض.. وانحـدرت الدمـوع من العـيـون وبللت الخدود الأرض.

ـ معذرة.. لم أقصد لكم كل ذلك.

ـ لاعليك يامؤمن.. إن ماحدث لبدير اليـوم سينأى بنا كثيراً عن التفكير فى الحرية.

ـ بالعكس.. لابد أن تكونوا أكثر ذكـاء.. لأن السيد واقاربه وأعـوانه.. سيثـقون بأنكـم الآن فى حالة خـوف ورعب بسـبب حـادثة بدير.. ولن يقلقـهم أن أحـدكم يمكن أن يفكر فى الهرب.

قالت زينة وهى تجلس على الفراش بجانب بدير:

ـ لكم حـلمت يامـــؤمن.. لكـم حلمت أن يكون لـى بيت خاص بى.. وأسـرة وأولاد أرعاهم دون أن أعمل حـساباً لسيد أو مالك.

وقال جعفر:

ـ لماذا لانرحل إلى أرض لايباع أحد فينا ولايشترى.. أرض تكون ملكا لنا.. نعمرها ونصبح نحن أسياد أنفسنا.

ونظرت بسمة إلى السقف وقالت:

ـ يا إلهى.. أيمكن يومـا ما أن اصبح سـيدة أروح وأجئ بلا حدود.. اتزوج وأعيش مثل بقية البيض.

أما علىٌ فقال:

ـ كل مـاأحلم به.. أن أهرب يومـا مـا.. أهرب من الظلم.. من الاستعـباد.. لايعقل أن يستـعبد الإنسان إنسـانا مثله من بذرة واحدة.. لقـد خلقنا الله سواسـية.. ولم يفـضل أحدنا على الآخر إلا بالتقوى والعمل الصالح.

قال مؤمن:

ـ لو أنكم غـامرتم بحيـاتكم من أجل ذلك ثم قـتلتم فهـو أفضل لكم ممـا أنتم عليه الآن.. إن النفس الجـبانة لايكون لهـا إلا المذلة.. واعلمـوا أنه يفوز بالـلذات كل مجـازف وأن الله تعـالـى يحب المؤمن القـوى.. والقــوة منشـأها

الحريـة فى المقام الأول.. ولنتـتبع المثل القـائل إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة فإن فساد الرأى أن تترددوا.

أخذوا ينظـرون بعضهم البـعض وكأن مـؤمن يقول كـلاماً لايناسب عـقـولهـم.. وأدرك أنهم فـقط يحـبـون الأحـلام والكلام.. لكنـهم أبعـد وأنأى مـايكونون مـن تحـقـيق هذه الأحلام.. لكن زينة فيـما يبدو تأثرت بالكلام ورمت لمؤمن قضية قائلة:

ـ لانملك مالا ولاجيادا ولاغذاء والكلاب سـريعة وسيعـثر علينا بسرعة.

ونظر الثـلاثة الباقـيين لزينة لأن كـلامهـا يعنى التفكـير الجدى فى الهرب فتنبهوا وقعدوا على الأرض متحلقين:

ـ هل تعرفون وجهتكم إذا هربتم من هنا.

ـ موزمـبيق.. هناك خلف النهـر نجد أرضاً يعـيش فيـها كل الزنوج فى بيـوتهم الخـاصـة والبـيض يخشـون الدخـول هناك.

ـ أى نهر الذى تقع خلفه الحرية.

ـ نهر لومـبو.. إذا نجح العـبد الهارب فى عـبوره سـالماً كان عليه بعد ذلك عـبور النفق الأسود، فإذا خـرج من الناحية الأخرى للنفق كان فى عداد الأحرار حقاً.

صمت مؤمن قليلاً ولم يسأل مرة أخرى.. بل أخذ يفكر قليلاً ثم قال لهم:

ـ لو أنكم عـازمون على الفـرار.. اقـسمـوا لى على ذلك.. وسأفـعل كل ماأقدر عليـه لإنقاذكم ومعـاونتكم. ها. ماذا قلتم.

أحس مؤمن كم كان وقع القرار شديداً عليهم.. وكم أنه من الصعب اتخاذه دون اعمال للفكر فقال لهم:

ـ سـأترك لكم فـرصـة للتـفكيـر حتى مـسـاء غـد.. فكروا وتأكدوا أن الله معكم .

ومضى الليـل على مؤمن وهو نائم فى ركن من الحـجرة وعلى وجعفـر يتقلبان فى أرق وقلق.. أما بسمـة وزينة فقد ذهبتا إلى حجرتهما ولم تعرف احداهما للنوم طعما:

ـ ماذا قلت يازينة..

ـ سأفعلها يازينة سـأفعلها وليكن مايكون.. وأتمنى أن يوافق جعفر .. حتى نتزوج هناك.

ـ لا يابســمة.. أنا لااسـتطيع المغـامـرة بحيـاتى.. الكلاب.. ستكون اسرع منا.

ـ حتى لو ذهب على وأراد الرحيل.

ـ عليّ.

ـ همم .. على يا زينة.. رغبتك في الزواج من عليّ لامجال لها هنا.. السيد لن يمنحك لعليّ.. بل إنى أظن أن السيد يريدك لنفسه.

ـ ماذا؟

ـ هذه هى الحقيقة يازينة.. ستكونين امرأته ولكن دون زواج.. وإذا أنجبت منه فليس يبعيد أن يقتل وليدك خوفاً من العار.

ـ لا.. هذا لن يكون.. لن أسمح له بذلك أبداً.

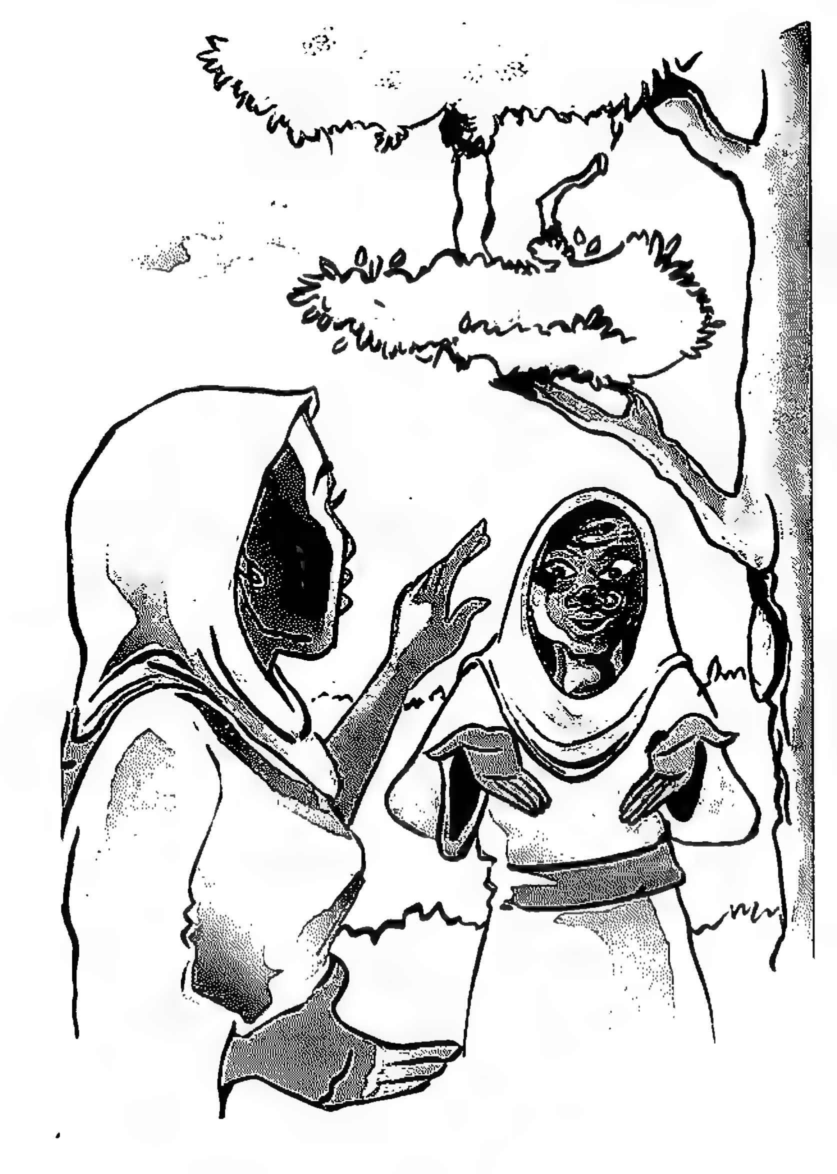
ـ اسمعى يازينة.. غداً سأقول لمؤمن المصرى.. أننى موافقة على الرحيل.. الموت فى سبيل الحرية أرحم من عذاب

الأسر والعبودية.

- لا.. لا أقــدر علـى ذلك.. أتريدين أن يـقطعــوا أرجـلنا يابسمة. مثلما حدث مع بدير المسكين.-

- بدير الآن يشعــر بالفخر والاعتــزاز بنفسه.. سيظل ســائقاً لعــربة السيــد ولكنه لن يهـدأ عن التـفكيـر فى الهرب مـرة أخرى. صدقينى.

وهكذا مضى الليل على الجميع وقـام مؤمن فى الصباح فخـرج من المزرعة قبل أن يـراه أحد من أهل القصـر وأخذ يتـجول فى أنحـاء البـلاد يحصل علـى المعلومات ويعـرف أسلم طـريق يمكن أن يسـلكه الفــارون إلى بلاد الحــرية. وقادته قـدماه إلى بلدة تسـتقبل كـثيـراً من المغتربـين البيض الذين يفدون عن طريق البحر ويقضون فـيها أوقاتاً ممتعة ثم



يعـاودون الرحيل مـرة أخرى كـان يود أن يجـد طعامـاً فى إحدى استراحات البلدة.

دخل المطعم وألقى متاعه وجـاءه النادل فطلب طعاماً ثم لما حـضـر بـه جلس يأكل فى هدوء وكـان بـاب المطعم فى مواجهته وبينما كان يشرب بعض الحساء إذ رأى بالباب من جعله يترك الطعام ويقفز عالياً ويصرخ :

ـ غير معقول.. مستحيل.. ألأنت هنا.. هنا..

ـ مؤمن.. مؤمن.. غير معقول.. انها صدفة أكثر من خيالية.

ـ چون.. چون.. كم أنا فى غاية السعادة لرؤيتك.

وتعانق الصديقان الحميمان وكادا يرقصان من فرحة اللقيا:

ـ ما الذى جاء بك يامـؤمن إلى هذه البلاد؟.. أهى الجوهرة أيضا؟

ـ وأنت ياچون.. أمازلت تكتشف البلاد؟.

ـ لا ياصديقي.. هذه المرة جئت لجنوب افريقيا عـدة شهور مضت.. أنا ضمن رحلة علميـة لدراسة الحيوانات ونحدد إمكان نقل الأصناف النادرة إلى بلادنا.

ـ عدة شهـور؟.. إذاً استطيع أن أجد لديك مايسـاعدنى فى مهمتى.

ـ عيناى من أجلك يارفيق الأيام الصـعبة.. يامن لك الفضل فى إسلامى وهدايتى إلى طريق الله.

ـ الفضل لله ياأخى.

ـ ها.. ماذا تريد.

ـ أريد أن أتناول الطعـام.. مارأيك.. ألست جـائعا؟.. هيـا ولنكمل حوارنا على هذه المائدة.

وجلس مـؤمن وچون يتـحـدثـان طويلاً ثم خـرجـا من المطعم يتمشيان وهما يتدارسان الأمر:

ـ الحق معك يامؤمن.

ـ أليس كذلك؟

ـ نعم.. منذ آتيت إلى هـذه البلاد وأنا أشـفق على السـود.. ديننا يسوى بيـن الأجناس كلها.. فلا فـرق بين عربى ولا أعـجمى ولا أبيض ولا أسـود إلا بالتـقوى. سـأساعـدك يامـؤمن.. تعـالى معـى إلى البيت وهـناك يمكن أن نضع خطة.

ولما عـاد مؤمن من بيت چـون ذهـب إلى مزرعـة الزنوج الأربعة فى المـوعد الذى حدده لهم وهـو يحمل الكثـير من أخبار العون والمساعدة.. كان مستبشراً فرحاً وتقدم بحرص

دون أن يراه أحد أصحاب القصر ثم دق الباب:

ـ السلام عليكم.

ـ مؤمن.. حمدا لله على سلامتك.

ـ أهلا بكم.. ها.. كيف حال صديقنا بدير.

ـ مؤمن.. زينة لاتريد الفرار معنا.

ـ ماذا جرى لك يازينة.

ـ لا أقدر .. أرجوكم.

خـرجت زينة تجرى إلى مـخـزن الاسطـبل وهى تبكى فتتبعها عليّ:

ـ زينة.. هل تحملت أن نفتـرق.. أنا لن أذهب مادمت هنا.. لا استطيع أن أتركك.

ـ لا.. لاياعليّ.. اذهب.. أنا أخاف من هذه العـملية.. وهذا

سيوقعكم فى مشكلات أثناء الفرار.. عزيمتى ليست تامة.. ووجودى معكم سيثبط من عزائمكم، جلس علىّ مع زينة ساعة كاملة ثم عاد إلى مؤمن والبقية المنتظرة:

ـ ها.. هل وافقت زينة يا علىّ.

ـ مترددة حتى الآن .. لكن أنا متفائل لأنها انتقلت من الرفض إلى التردد .. ماذا لديك يامؤمن.

ـ اقتربوا وانصتوا جيداً لما سأقوله لكم.

تحلق الثلاثة حوله وكان بدير أحسن حالا من الأمس ورغم تعبه إلا أنه شاركهم الاهتمام.

ـ اسمعوا.. بعد منتصف هذه الليلة.. وبعدما يظن السيد وأهله أنكم نائمين.. سوف تخرجون تحت جنح الظلام.

ـ هل سنخترق الغابة كما هو متبع.

ـ نعم.. هذا هـو أقـصـر طريق.. بعــد أن تعـبـروا الـغـابة ستـجدونى فى انتظاركم عنـد أول المنطقة الصـخرية.. أنا لاأعـرف عنهـا أى شئ حـتى الآن ولكـن سـيكون هناك صديق لنا سيمدنا بكل الامكانيات اللازمة.

ـ هذا يعنى أنك لن تخرج معنا الليلة.

ـ الغابة تحـتاج إلى يومـين حسبـما عرفت لاخـتراقـها على الأقـدام.. وأنا فى هذه الفـتـرة بمسـاعـدة صـديقى چون سنحاول توفير الجياد اللازمة لرحلتنا حتى النهر.

ولقـد أخبرنى صـديقى بما يجب عـمله فى هذه المرحلة إنه يعـرف أناساً طيـبيـين يساعـدون أمثـالكم حتى مـرحلة النجاة. المهم ألا تخرجوا من هنا جـماعة.. يجب أن يتسلل كل واحد على حدة وتتقابلون على أول طريق الغابة.

صاحت بسمة :

ـ والكلاب.

ـ هذه مـشكلة مـحلولة.. بإذن الله يابســمــة.. والحل لديك أنت.

ـ أنا؟.. كيف.

ـ يجب أن توفرى كيســاً من الفلفل الحار.. الشطة.. وعندما تبدأون الرحـيل.. تلقون وراءكم بين الحين والآخـر حفنة منهـا.. تنشـرونها نشـراً وهى كـفـيلة بإيذاء أنوف الكلاب وإبعادها عنكم.

ـ وبدير.. هل ستتركه هنا.

ـ ضحك بدير رغم تعبه وقال:

ـ هناك الكثير سـوف يعتنون بى.. أرجوكم لاتتقـاعسوا من

أجلى.. إن الذى تفـعلونه هذه الليلة أكبـر جمـيل تؤدونه من أجلى.. إنى أرى فيكم حلمى الكبير.. الله معكم.

فى هذه الليلة لم ينم أحد.. أخـذ كل واحد يعد زاده من الملابس للرحـلة الخطرة.. لاداعى لأخـذ أى شئ مـن شـأنه إعاقـة السيـر.. فالمرحلة الأولى سـتكون جرياً عـلى الأقدام بأقصى سرعة لقطع أكبر مسافة ممكنة.

وذهب مؤمن ليـقضى الليلة مع چون.. أما علىّ فـحاول إقناع زينة ورغم ذلك تركها وهى مترددة.

وسارت الساعـات بطيئة.. وعندما انتصـف الليل تقريبا خرجـت بسمة وحـدها وبعدهـا خرج جعـفر بحـوالى ربع الساعة ثم بعد نصف ساعة خرج علىّ.

وفى المكان المحدد تقابلـوا ثلاثتهم. كانت بسمة وجـعفر

في انتظار عليّ فلما حضر كانوا يلهثون من شدة الخوف:

ـ هيا بنا يا عليّ.

ـ وزينة؟!.. هل نتركها؟.

ـ لاوقت لدينا ياعلي.. لاوقت يجب أن ننطلق قبل أن يفطن لنا أحد.. الوقت مهم .

ـ أرجوكم انتظروا قليلاً.. قلبي يحدثني أنها قادمة.

جلسوا يتـأكلون من شدة القلق ولما وصل الأمر لذورته قاموا لبدء الرحلة وقبل أن ينطلقوا لمحوا شيئاً يأتي مسرعاً:

ـ زينة.. هاهي قادمة.. الحمد لله.

ـ السلام عليكم.

ابتسم على فرحاً ولكن جعفر جذبه من ذراعه:

ـ هيا بنا ياأخي.. لقد ضيعنا وقتاً كثيراً .

الحـيوانات نائمـة والغـابة ترتع فى الرعب.. والأشجـار تحجب ضوء القمر.. لكن حاسة الحرية ترشد الجمع المنطلق نحو طريق الفرار.. كانوا يجرون بأقصى مالديهم من سرعة واحـد يقع فيـقيـموه.. وواحـدة تلهث فيـشجـعونهـا.. فى الخلف كـان ماض أسود فى قصـر الاسـتعبـاد والرق وفى الأمام تكون الكرامة والعزة والسيادة الحقة.

ومـضت سـاعـات الفجـر مسـرعة وهم ينطلقـون ثم اذا انعدم الهـواء توقفوا ليلـتقطوا الأنفاس ثم يعـاودون الجرى مرة أخرى.

وفى أول بادرة للنهار قامت زوجة السيد صاحب القصر تنادى على زينة لتـحضـر لابنتـها العـصيـر الطازج.. نادت عليها.. أرسلت أحد أقاربها فلم يجدها.. بحث الرجل عن

زينة.. أو بسمة.. لم يجد لهـما أثراً.. توقف أمام الاسطبل، بحث عن على أو جعفر فلم يجد أحد.

انطلق الرجل يجـرى إلى سيد القـصر وأخـبره أنه لاأثر للزنوج الأربعة فى المزرعة.. وأنه لايوجـد غير بدير ينام فى الحجـرة وحده.. وعلـى الفور ارتدى سـيد القـصر ملابـسه وجرى بصحبـة خدم القصر الآخرين يبحـثون عن الفارين. وانطلقت الجـيـاد تبحث فى أرجـاء المدينة بدون جـدوى.. فقرر الرجل الرجوع إلى القصر.. ثم قال له ابن أخيه:

ـ ياخال.. هـؤلاء الشرذمة لـم يتعظوا بما جـرى لصاحـبهم بدير.

ـ نعم.. وهذا إثم كـبيـر.. ولن تكون عـاقبـتهم إلا القـتل.. المهم أن نعثر عليهم قبل أن يصعب علينا ذلك.

ـ هذا الأمـر يجب أن يتم بأسرع مـا يمكن ياخالى.. اسـمع ياخالى.. يجـب أن نؤجر رجالاً أشـراراً يبحـثون عنهم.. وترصد لهم مكافأة فى حال العثور عليهم.

ـ إذاً .. ارسل فوراً فى احضار «سونجور» وأعوانه.. بسرعة.

ولم تمض سـاعة حـتى كان المـرتزقة المعـروف سونجـور ومعه رجلان آخران يقفون أمام شرفة القصر:

ـ اسمع ياسونجور.

ـ أمر سيدى.

ـ أربعة من العبـيد الزنوج هربوا اليوم.. فى الليل.. أريدهم الأربعة أحـياء أو أمواتاً.. لك أجر البـحث فى كل حال.. أما إذا عثرت عليهم فلك مكافأة كبيرة.

ـ تأكـد ياســـيـدى أننى لن أعـود إلـيك إلا وهم فى يدى..

وسـأفـعل كل مـابوسـعى لاحضـرهم لك أحـيـاء حـتى تعاقبهم كما تحب.

ـ وفى ذلك مكافأة أخرى ياسولجور.. هيا اذهب.. ولاتضيع الوقت.

انطلق الرجال الثلاثة على جيـادهم مسرعـين للوصول إلى مدخل المدينة حيث ينوون عبور الغابة وكـان كل جواد يجـر خلفـه كلبـا من كـلاب الصيـد المدربة على تتبع أثر النملة.

كان «سولجور» رجلاً شـريراً.. قاتلاً مأجوراً.. عمله هو أن يؤجره أصحـاب النفوذ من أجل حمايتهـم فكان بلطجياً محتـرفاً يعرفه الجـميع بأن له مهارة سابقـة فى القبض على الزنوج الهاربين والحصول على المكافأة المرصودة لذلك.

وتقدم سونجور برجاله مخترقين الغابة ثم لما أصبحوا فى مكان متشعب.. ترجلوا من خيولهم.. وبدأت الكلاب عملها.

قال سونجور :

ـ إذا خرجوا على الأقدام بالليل.. فهم على مقربة منا.. اطلقوا الكلاب لتعرف اتجاههم ويبدأ الرجال يتبعون الكلاب وهى تسير فى أثر الهاربين.. ولكن بعد برهة تراجعت الكلاب كأنها تأذت من شئ.. واحتار الرجال فى سلوك الكلاب التى فى الحقيقة أصاب أنوفها عطب بسبب الشطة التى نثرها الزنوج على الأرض.. فصرخ «سونجور» فى الرجلين :

ـ دعوا هذه الكلاب عديمة الفائدة وهيا بنا ننطلق.

ـ سيدى سونجور.. بدون الكلاب لن نعرف الاتجاه وقد نسير فى اتجاه خاطئ.

ـ إذاً فاتبعونى أنا.. فأنا اشم الفارين بحاسة أقوى من هذه الكلاب.. هيا ورائى.

وفى هذه الأثناء كان مؤمن بمساعدة چون يحاولان شراء خيول لزوم العملية وكان ارتفاع السعر من أحد أسباب معاناتهما فى ذلك:

ـ اسمع يامؤمن.. هناك صاحب مزرعة على مسيرة كبيرة من المدينة.. وفى عكس اتجاهنا.. هذا الرجل أعرفه وأظن أنه سوف يمنحنا الخيول بما توفر لنا من مال.. مارأيك؟

ـ هيا بنا ياچون.. الوقت يمر بسرعة.. يجب أن نكون فى صباح الغد عند مكان اللقاء.



وانطلق مؤمن وجون وهمـا يعلمان أنهمـا لن يصلا إلى هذه المزرعـة إلا عـند غـروب الشـمس. وفى الـغـابة كـان سـونجور يتتبع آثار الزنوج.. أمـا هم فكانوا فى حـالة يرثى لها. فـأرجلهم قـد كلت من مواصلة الجـرى وأقدامـهم قد أصـابهـا القـرح من الأشـواك التى تملأ أرض الغـابة.. لقـد امضوا الليل يجرون.. فلما طلع النهار سـاروا حثيثاً وكانت خطتهم هى التحرك ليـلاً والسكون نهاراً.. لكنهم حتى الآن لم يعثروا على مكان يختبئون فيه لحين حلول الليل.. ولكن بسـمـة لمحت على البـعـد أيكة عـظيـمة صـنعت النبـاتات المختلفة فوقها وحولها مايشبه العش الكبير:

ـ انظروا.. هناك.

وترنحـوا وهم يكابدون التعب والمعـاناة يتجـهون نـحو

الأيكة الوارفة وكانوا يتساقطون ويزحفون حتى وصلوا إليها وشق علىّ طريقا فى الأعشاب المتدلية ثم ارتموا فى سترها يكاد الإرهاق يقتلهم فقد انساهم أن يتشاوروا أو يأخذوا حذرهم.. لأن النوم كان أقوى من كل شئ. وفى الظهيرة الحارة.. أقامهم الجوع مرة أخرى:

ـ علىّ.. جعفر.. ألا يوجد ماناكله.. أنا فى شدة الجوع.

خرج على وجعفر مع كل منهما خنجر يبحثان عن شئ للأكل.. وتجولا فى الغابة.. فلمح جعفر وعلاً يسير فى تؤدة لايشعر بوجودهما. فأشار باصبعه لعلى.. ثم رفعا ذراعيهما فى وقت واحد.. وباشارة أخرى انطلق الخنجران فأصابا الوعل فى مقتل فجريا إليه:

ـ صيد ثمين ياجعفر.. هيا بنا نجره إلى مكاننا.

ولما جريا يجران الوعل بـعد ماأجهزا عليـه نحراً.. سمع على صوتاً:

ـ جعفر.. أنصت.. هناك من يتحرك نحونا.

في البـدء كانا يظنان أنـه أسد الغـابة أو أحد الوحـوش الشرسـة.. اختبئـا له بين الأحراش ومن مسـافة بعيـدة ظهر سونجور وعصابته:

ـ إنه البلطجي سونجور ياجعفر.. هيا بنا بسرعة .

وانطلقـا دون الصـيد الشـمـين وعادا إلى البنـتين وهمـا يرتجفان ولما اقترب سونجور ورأى الوعل قال:

ـ انظرا إن فريسـتنا هي التي كانت سـتفـترس هذا الوعل.. أبشرا.. وتحركا في كل مكان.. اشـهرا السيف وكونا على استعداد.. فهم أقرب ما يكونوا منا.

كان من عادة العبيد ألا يقاتلوا.. فقد تربوا فى احضان الجبن ودماؤهم لاتحمل إلا الخنوع والطاعة والوجل من أى شئ.. لكن.. هل الاندفاع نحـو الحرية يمكنه أن يغـسل الرماد من الجبن والبـرود ويدفعـهـا نحو حـصاد الشـر والظلم بالقـوة والعاطفة الملتهبة؟

كانوا فى مكـمنهم منكمشيـن لايدور برأس أحدهم أى شئ سـوى الاختبـاء قدر الامـكان سحـبت زينة كـتلة من الأعشـاب المتشابكة ورمـتها فوقـهم فأصبـحوا لايرى منهم شيـئا.. وكـاد سولجور أن يجن جنونه وهـو يدور كالمجنون بعـصابتـه فى كل مكان وأخـذ يصـيح وينادى على الزنوج كـأنه يراهم.. ليـخـدعهم فـيـخـرجوا مـن مخـبـأهم الذى لايعرفه.. فلـم يجيبوه وقاده جواده نحو الأيكة فوقف أمامها

يبتسم ثم قال:

ـ هلم يارجال.. لقد عثرنا على الصيد .

أما الأربعة فـقد جفت الدماء من عـروقهم من الخوف.. ولكن عليّ قبض على خنجره بشـدة. وترجل سولجور ومن معه عن الجياد ومـعهم السيوف ودخلوا الأيكة فلم يروا أى شئ.. فـالأعـشـــاب كـانت تغطى الرفـــاق تمامـا.. أخـذوا يدورون حول الـشجرة دون أن يعـثروا على شئ.. وعـندما أصيبوا بالاحباط.. وذهبـوا ليخرجوا من الأيكة تحركت قدم زينة فأصدرت صوتا فانتبـهوا يستديرون بسرعة ولكن على وجعفر هـبّا بسرعة من بين الأعشاب وأطلقـا خنجرهما فى الهواء فأصابا تابعى سولجـور فى مقتل.. فلما رأى سولجور ذلك خـشى أن يكون مـعهـمـا مـزيدا من الخناجـر فجـرى

خارجاً مــن الأيكة وقفز فوق جـواده وانطلق يفر من المكان تمامـاً.. ووقف على وجـعفـر يصـرخان من الـفرحـة وزينة وبســمة أخـذتا تهللان وكانوا فى فـرحة كـبيـرة فأول مـرة يقررون مصـيرهم بأيديهم ولأول مرة يعرفـون طعم الدفاع عن النفس.. ولم ينسهم ذلك ماكانوا فيه من جوع فانطلقوا إلى الوعل وجهزوا منه شيئا كثيراً للطعام اللذيذ.

ومضى النهار بطوله وهم فى حالة معنوية مرتفعة:

ـ آه ياعلى.. آه لو كنا قضينا على سونجور هو الآخر..

ـ مادام قد فارق المكان فلا رجعة له.

ـ من قـال لك ذلك. هـذا الرجل لن يفـقـد هيـبتـه بهـذه السـهولة.. إن المفـاجأة أربكتـه لكنه سيـعود ياجـماعـة.. سيعود للمباغتة.. فكونوا على حرص .

ولما اقترب الليل قاموا من جـديد بعد أن استحوذوا على جوادى سونجور.. وركب الرجلان على جواد والبنتان على جواد.. وتقـدموا يشـقون الغابة وهم فى تفـاؤل كبـير.. ولما قطعوا الغابة ووصلوا إلى موقع المـقابلة مع مؤمن كان الليل مايزال هو السيد فجلسوا ينتظرونه.

ولقد حصل مؤمن فى هذا اللـيل على جوادين بالاضافة إلى جواد چون:

ـ مؤمن.. عليك الآن بالإسراع حتـى تصل فى الصباح.. أما أنا فسـأقطع الطريق المختصر خلف النفق الأسـود.. حتى أمهد لكم مكاناً مناسباً وأناساً يأونكم.

ـ هذا عمل عظيم ياچون.

ـ كن على حذر يامؤمن.. لانكم ستمرون فى المنطقة الجبلية

المكشــوفة مــســيــرة يومين على الأقــل.. لا أعرف كـيف ستصلون بثلاثة جياد.. لكن الله معكم.

وسار مؤمن وجون مسافــة لابأس بها ســويا ثم انفصل جون على جـواده وانطلق بأقــصى ســرعتــه حتى يســتطيع استقبــال الجمـاعــة خلف النهـر بأمان ويوفـر لهم الراحــة والغذاء، وبعد مسيرة الليل واقتراب النهار وصل مؤمن إلى نقطة اللقاء.. ورأى الرفاق:

ـ مـرحى يا إخوانى.. أراكم قـد حـصلتم على الجيـاد بدون تعب.

وحكوا له ماكان من أمر سولجـور وكيف تصرفوا.. فسر مؤمن من عـملهم وأعطى لعلى وجعفر سـيفين وكـان معه كيــساً قمـاشياً كبـيراً على جواده مـلأه بالزاد اللازم للرحلة

الطويلة.. وبدا للجميع أن الحرية تفتح ذراعيها لهم:

ـ والآن هيا بنا.. سنخترق المنطقة الجبلية.. أمامنا يومان..

وأعطوا ظهورهم للغابة التى لم تستطيع النمو على الهضبة الصخرية.. كانوا يسرعون بالخيول قدر استطاعتهم.. يخيل لكل واحد منهم أن يطير حتى يصل إلى النفق الأسود.. كانت الشمس محرقة ولاساتر منها إلا غطاء الرأس.. والماء الذى معهم يكفى بالكاد للرحلة ولم يكونوا يتكلمون كثيراً نظراً لإندفاعهم المثير.. كان مؤمن أسرعهم لما له من خبرة في قيادة الخيل وكلما أحس أنه ابتعد عنهم توقف ريثما يلحقوا به ثم أكمل بعد ذلك.

كان على البعد شيئا يقطع خط الأفق ويشتته ويسد على البصر حريته.. ولكنه كان غارقاً فى السراب. يبدو كأنه

ضبـاب جبـلى متـفاوت الألوان.. ولكنهم توقـفوا للطـعام ولراحة الخيل ولالتـقاط الأنفاس.. ونظر فوق الجبل البـعيد وسأل:

ـ ألا يعرف احدكم ماالذى يعترضنا هناك.

قال جعفر:

ـ فيـما يبدو أنه جـبل عملاق يامـؤمن.. ياإلهى.. إنها فيـما يبدو سلسلة جـبال متـلاحمة ممتدة من الشـرق والغرب.. انظروا.. كلما حدقنا النظر فى أحد الجانبين وجدنا شيئاً.. إن الطريق ينتهى هناك.

قالت زينة:

ـ إذن لقد ضللنا الطريق.

قال على:

ـ لا لم نضل الطريق.. فـلا توجد أى طرق أخرى غـير التى سلكناهـا وهى ذات الطرق التى سلكهـا الـفـارون قـبلنا بدليل أن سـونجـور وصل إلينا بلا أدنى جـهـد.. أعـتـقـد عندما نصل إلى هذا الجبل سنجد مخرجاً هناك .

كـان هذا التحـدى دافعـاً لهم أن يقـوموا قـبل نيل فتـرة الراحة كلـها.. واعتلوا الجـياد ثم انطلقـوا صوباً فى سـرعة عالية.. ولـما أصبحوا أمام الجـبل توقفوا وتوقفـت أحلامهم عن الاسترسال .

نظروا عـن يمـيـنهم فلم يـجـدوا له أول ونـظروا عن شمـالهم فلم يجدوا لـه آخر.. اختـاروا السيـر تجاه اليـمين عسى أن يجـدوا نفقاً أو سلمـاً.. لكنهم توقفوا واليـأس قد اثقل كاهلهم:



ـ ماهذا.. هكذا لن نصل أبداً.

ـ ليس أمامنا إلا تسلق هذا الشئ؟

ـ ماذا.. هل جننت..

كان مؤمن يستمع إلى كلامهم ويفكر فى كلام آخر.. وفجأة صاح فيهم:

ـ انتظروا جميعا.. هذا ليس بجبل وانما هضبة.. بمعنى إذا صعدنا فوقها لن نهبط خلفها.. يجب أن نصعد حتى يستكمل المشوار.

ـ ولكن كيف يامؤمن.

ـ لنختر أفضل وآمن مواقع التسلق ونبدأ على الفور.

كان ذلك أصعب مافى رحلة الهرب.. الأيدى تتحسس الصخور.. الأنامل تتشبث بالثنايا الصخرية.. البعض يدفع

الآخر.. الهضبة عالية.. كلما وصل واحد إلى مكان آمن القى الحبل بالخطاف لمسافة أعلى.. كان مؤمن أمهرهم على الإطلاق.. لذا فقد وصل أعلى الهضبة وحده وبينما كانوا مايزالون فى منتصف الطريق.. مؤمن واقف أعلى الهضبة يحثهم على الصعود.. فجأة لمح على آخر البصر غباراً كثيفاً يقدم نحوهم بسرعة شديدة وأدرك أن هناك من يريدهم بسوء.. فصاح فى رفاقه.

ـ هيا ياشباب.. هيا.

وصل علىّ ومن بعده زينة ثم ساعدوا بسمة وأخيراً بقى جعفر الذى كان يساعد الجميع فمدوا له الحبل وقبل أن يصعد بدأت السهام تنطلق نحوه من مسافة بعيدة.. وفى لحظة حاسمة استطاعوا الوصول:

ـ مؤمن.. الخيل.. الجياد.

ـ لايمكن أن ننقلهـا إلى هنا.. هيـا فهـذه المشكلة ستقـابل عدونا.

وقبل أن ينطلقوا صاحت بسمة:

ـ انتظروا.. انهم يبتعدون عنا.. انهم يتجهون يسار الهضبة.. ماذا يعنى ذلك.

تفطن مؤمن فى الحال وقال:

ـ هناك مكان فى يسـار الهـضبـة يصلح للصـعود بالجـيـاد أيضا.. ويبدو أنهم يعرفونه.. انظروا.

ـ وما العمل إذاً الآن؟

ـ اسـمعـوا.. عدونا على الجـياد سـوف يتـمكن منا.. ليس أمـامنا إلا شئ واحـد.. أن نعـود من حـيث أتينا.. نرجع

للنزول على الحبال.. لنأخذ جيادنا.. وساعتها ستكون القوة متعادلة.

ولم ينتظروا.. فالجياد أسفل الهضبة بمثابة المنقذ الوحيد من هذه الورطة وكان لسان حالهم يقول ليتنا درسنا يسار الهضبة كما نظرنا يمينها.. وبعد ماكان النزول أسرع وأسهل من الصعود.. هرعوا نحو الخيل وركبوا:

ـ ماذا تفعل الآن يامؤمن.

ـ نذهب وراء مطاردينا.

ـ ماذا هل جننت؟

ـ لو ظللنا تحت الهضبةسيرجعون لنا وإذا صعدنافوقها.. سنكون خلفهم وقد لايروننا أو يطاردوننا.. إذاً مطاردة فوق أو تحت هذا أمر واقع لامحال.

وتم تنفيـذ الأمر وصـعدوا فوق الهـضبة مـن مكان كأنه نحت من قبل، ولما وصلوا للسطح رأوا رجال سولجور وهو معـهم يتـعدون ناحيـة اليمـين يبحثـون عنهم فاتجـهوا هم بأقصى سرعة من الناحية اليسرى حينما كانت بعض التلال الصخرية بمثـابة ساتراً لهم.. واستكملوا طريقـهم قدماً على هذا النحـو. ورغـم فـشل سـولجـور حـتى الآن فى القـبض عليهـم والحصول على المكـافأة إلا أنه لم ييأس لأنـه يعرف الوجهة التى سـيذهبون فيهـا والموقع الذى يريدون الوصول إليه.. لذا فقـد أوقف رجاله بعد فشله فى العـثور عليهم ثم قال:

ـ يبـدو أن خطة الثـعلب الذى يطارد الـدجاجـة أصبـحت لاتروقنى.. هناك خطة أفـضل.. هى خطة التمـساح الذى

ينام فى الطين بجوار عش الدجاجة ليأكلها بمجرد أن تصل إليه.

وكانت مفاجأة سولجور للجماعة الهاربة كفيلاً لهم بمواصلة الجرى لأطول مسافة ممكنة لذا فقد قطعوا شوطاً كبيراً.. ولم يتوقفوا إلا والغروب يسرع نحوهم ويطاردهم.

ـ ياه.. أريد الراحة يا مؤمن.

وترجلوا الجياد فى منطقة صخرية.. وجلسوا مرتمين على الأرض.. وأخرج مؤمن بعض الغذاء ثم تبلغو به على عجل:

ـ ماذا بقى لدينا على النهر.

ـ قد نصل غداً صباحاً إذا جد السير..

ويبدو أن أحد ساكنى هذه المنطقة قد أزعجهم هؤلاء

الرفاق.. فقد فوجئ جعفر بعقرب أسود لم ير مثله من قبل وقبل أن ينبـه بقيتـهم إذ بجيش من العقـارب يندفع من بين الشقوق التى تملأ الصخور كأنهم مسلطون عليهم.. انتفض الجمع يجـرون فى كل مكان.. مبـتعدين.. ولكـنهم تذكروا أمر الجياد فلم يقدر أحد على انقاذها وكل ماعملوه أن ظلوا يقذفونها بـالحجارة ليبعدوها عن الجيـاد.. لكن للأسف فقد سـرى السم فى الحال.. ولـم ينجوا إلا جـواد ذكى.. اندفع مـبتـعـداً وجـرى بعيـداً تاركـاً كل شئ فى فـزع ولم يفلح أحدهم فى إعادته:

ـ ما العمل الآن.. لاجياد ولاماء ولاغذاء.

ـ لاعليك يازينة.. لا عليك.. يمكـننا أن نحتمـل كل الجوع والعطش حتى الصبـاح.. ألم يقل مؤمن أننا سنصل للنهر

فى الصباح.

ـ مـاذا تقولين..مـؤمن قـال ذلك ونحن نركب الجيـاد وهى تجـرى بنا طـوال الليل ونحن الآن على الأقــدام لن نصل قبل ثلاثة أيام أو أربعة أيام.

كـانوا يسيـرون على غيـر هدى.. الصمـت هو السيـد والصحراء الصخـرية لايبدو أنها تريد أن تنتهى.. لو نظرت من علٍ لهم لوجـدتهم يتـرنحون ويسـقطون.. وعلمـوا أن ثمن الحرية لايقدر بمال.. ولما استيـأسوا وأدركوا أن أرجلهم تسوقـهم لقبورهم.. لاح علـى البعد شـبح الجواد الناجى.. يقف فوق عـصبـة من الحشائـش النابتة فى الصــخر يأكل.. أشار لهم مـؤمن أن يتوقفوا.. ثم اقـترب منه شيـئاً فشيـئاً.. كان يخشى أن يعاود الفرار من جديد.. لكنه تماثل له وتمكن

مؤمن من الامساك به بسهـولة.. فامتطاه وعاد به إلى الأربعة المنهكين ورغم ذلك هللوا وفرحوا:

ـ الحمد لله.. جواد أهون من لاشئ.

ـ ولكن هل يعقل أن يركب فوقه خمسة.

أخذ على وجـعفر بيدى بســمة وزينة ووضعـوهما على الجواد وساروا يتناقشون فى الأمر فقال مؤمن:

ـ اسـمعـوا هل يمكــن أن تمكثوا هنـا ريثمـا أذهب بالجـواد لأحضـر لكم جيـاداً أخرى.. إن سونجـور الآن ينتظرنا بما لايزيد عن عـشرة جـياد عند النهـر.. ماذا لو سلبـتهـا منه وجئتكم بها.

نظروا له والشك فى قدرتـه يملأ أعينهم ولسـان حالهم يقول.. كيف لهذا الصغيـر أن يفعلها وحده فلما رأى منهم

ذلك قال:

ـ إذاً يبقى جـعفر مع زينة وبـسمة ويأتى على مـعى.. الجواد يمكن أن يتحملهما سوياً.

وهذا الرأى أيضاً لم يعجبهم.. وقال جعفر:

ـ مـاذا يامؤمن لو فـشلت أنت كـان علىّ مـعك؟ هذا يعنى أنكما قُتلتـما؟؟ ويعنى أيضاً أن نموت هنا فى انتظاركم.. الغابـة الشجريـة على بعد يسـير منا ولانعلم مـاذا ينتظرنا فيها.. انظر لمنظرها المخيف.

على البـعــد كـانت تنتظرهم غـابـة من نوع واحـد من الأشجار البـاسقة لاتوجد فـيها غير هذا النوع فـكانت تشبه الزنزانة المليئة قضباناً تزاحمت وتراصت بشكل يبعث على الفزع. ولما فشل الاقتراح عاد الصمـت ضيفهم حتى اقتربوا

من الغـابة ولـم تتـكلم غـيـر بسـمـة عندمـا أرادت أن تنزل ويركـب أحد الرجـال فرفـضوا.. وفجـأة قبل دخـول الغابة لمعت فى رأس على فكرة فكاد يقفز من اعجابه بها:

ـ وجدتها لقد وجدت الحل يارفاق..

توقفوا على صياح صاحبهم وعيونهم تسأل فأجابهم مردفاً.

ـ من قبل طلـبت منى سوزان ابنة سيـد القصـر أن اصنع لها زحافـة تجرها الخـيل.. مارأيك يامـؤمن.. الأخشـاب أمامنا كمـا نريد.. ويمكننى أنا وجعفـر عمل زحافة نركب عليـها كلنا ويجـرها الجـواد.. ولحـسن الحظ العـجـيب جـداً.. أن الجـواد لن يجـد صـعـوبة فى شـدها.. لأن الأرض من هنا وحـتى النهر صـخرية كـما ترون وسـتنزلق عليـها بأسـهل مايكون.

قال مؤمن: ولكنك لاتملك أدوات النجار ياصديقى.

ـ هاهاها.. لاعليك.. هـذه مشكلتى أنا وأخى جعـفـر.. لا يجب أن تكون زحافة أنيقـة.. ثم أن الألياف المتينة تتدلى من الأشجار كما ترى يا مؤمن.. هيا بنا لانضيع الوقت.

جلس مؤمن بجانب البنتين يتعلم من على وجعفر كيف يصنعان زحافـة. ليس بيد أحدهما غيـر السيف أو الخنجر.. لقـد أبدعاها فـى أقل من ساعـة.. كـانت متـينة وبسـيطة.. ربطت إلى بعضها بألياف مجدولة شديدة المتانة. وأوصلوها بالجواد ثم ركب عليهـا بمفرده ليجربهـا.. فلما دار بها دورة واحدة جروا نحوه.. الكل يريد أن يركـب:

ـ كونوا على حذر.. انزلاق الزحافة على الصخر يتطلب أن تتشبثوا جيدا وتحفظوا توازنكم.

وقاد عليّ الزحافـة.. ونجحت الفكرة.. فالحصـان بأقل جهد اصبح يسحبهم منطلقاً.. إلا أن عظامهم كانت تئن عند كل بروز صـخرى أو منـحنى حاد. ومع ذلك فـقـد ظلوا طوال الليل يصرخون فرحاً وهم مندفعين كمن يلهوا ويلعب لعبة خطرة.. وكان القـمر بالليل دليلهم الوفـى.. ولقد خفـضوا سرعتـهم بالليل.. لكن مع شروق شمس اليـوم الجديد لاح اللون الأخـضر يبعث الأمل فـى الصدور وبات النهـر كأنه يفرق بين العبودية والحرية، ولما دنوا منه توقفوا وقال مؤمن:

ـ والآن.. نحن فى المرحلة الحرجة.. أولاً عـبور النهر.. ثانيا النجاح فى المرور من النفق الأسود.

ـ إن سـونجـور يقـــبع فى مكان مـا الآن على ضـفـــة النهـر يامؤمن.. ماذا سنفعل؟

ـ إنه لم يظهـر حتى الآن.. وهذا دلـيل على أنه لم يشـعـر بوصولنا.. وهذا شئ جميل..

واعتـقد أنه الآن يقبع عند أضـيق مكان فى النهر والذى لايصلح الـعـبــور إلا منه.. نظروا هناك.. انـظروا إلى هذا الاختناق الواضح فى جـسم النهر.. سـولجور لابد أن يكون هناك.. ينتظرنا.. ولديـه كل الحق.. فنحن لانسـتطيع عبـور النهـر إلا من هناك وإلا تـعـرضنا للغـرق.. خـاصـة وأنكم جميعاً لاتجيدون السباحة.

ـ ومـاذا علينا عـمله الآن يامـؤمن.. أنـا لا أطيق الانتظار.. أخلــف هــذا النهـر تكون الحـرية.. يخـيل إلى أن ألقى بنفسى فى الماء وأعبره.

ـ رويدكم ياأصــدقائى.. الأمور لاتؤخـذ هكذا بالعـاطفة..

التـفكيـر مـهم جـداً يجب أن نرسم خطة للقـضـاء على سونجـور وأعوانه هؤلاء.. يجـب أن نفكر سـوياً .. فكروا معى والله هادينا.

قالت بسمة:

ـ أول شئ يجب علينا عمله.. هو الذهاب إلى مـوقـعـه.. واحد منا يذهب ويراقب مدى قـوته ثم يعود إلينا لنعرف ما الذى علينا عمله بالتحديد.

ووافق الجـمـيع عـلى هذا الرأى وكـان هذا الدور من نصيب جعـفر الذى تطوع وذهب يزحف حثيثاً حتى وقف فى مكان أمكن له من رؤية معسكر سونجـور.. مجموعة من الجيـاد تقف فى شكل مـربع كـبيـر ووسـط المربع يجلس سونجور وأصـحابه.. يصنعون مايشبه الطوق كى يعبروا به

النهـر إذا مااحتـاجوا لذلك.. ارتعـد جـعفـر وعاد يجـرى لأصحابه ثم أخبرهـم بكل مارآه.

ـ كم كان عددهم ياجعفر.

ـ سبعة.. يتوارون فى مكان لايسهل رؤيتهم فيه.

قال مؤمن:

ـ اذن فلنبــقى هنا إلى الليل ولـنجـمع اكـبـر مــايمكن من الحطب الجاف.

لما رأوا لهجـة مؤمن واثقـة وحادة لم يشـأ أحد فـيهم أن يسأله.. وبقـوا طيلة النهار يجـمعوا حطـباً جافـاً. وارتاحوا قليلا قبل حلول الـليل وقد صنعوا كومة كـبيرة من الحطب ولما جن الليل قال علىّ:

ـ لم نسـألك يامؤمن حـتى الآن عما فى رأسـك.. ها.. ماذا

لدينا الآن.

ـ اسمعوا.. سنتحرك الآن.. أو بالتحديد.. ستتحركون انتم بهدوء شديد حتى تصبحوا خلف سولجور تماما وتختفون وسط الأحراش ولايصدر أحدكم أى صوت.. أما أنا فسأقوم باشعال النار فى الحطب.. هذا ماسيجذب سولجور ورجاله نحو النار ساعتها ستتمكنون من عبور النهر بالطوق الذى يصنعه.. واعتقد أنه غير ضرورى.. فالنهر ضحل جداً هناك ولايحتاج إلا لخوضه على الاقدام.

وهنا أزرفت بسمة الدمع وقالت:

ـ وأنت يامؤمن.. عندما يأتون للنار سيجدونك.

ـ أولاً ياصديقتى.. هم لم يأتوا للقبض على إنسان أبيض

مثلهم.. فوجودى لايعنيهم فى شئ إلا إذا ظنوا أننى كنت عونا لكم.. وأحب ساعتها أن أخبركم أن مؤمن سباح ماهر.. فإذا لم أتمكن من الهرب على قدمى. سأهرب على الجواد أو سألقى بنفسى فى النهر.. إن مجرد كونهم يصنعون قارباً فى هذا المكان الضحل لأكبر دليل على أنهم لايعرفون السباحة.. والآن هيا.

ـ الوداع يا مؤمن.. أتمنى أن نلتقى خلف النهر .

ـ لقد ذهب جعفر فى مالا يقل عن ساعة ذهاباً وايابا.. لذا فأرجو أن تصلوا فى نفس الوقت لأننى لاأريدكم أن تبقوا كثيرا هناك.. ساعتها سأضرم النار فى الحطب.

وتمت الخطة تحت جنح الظلام.. كان جعفر يعرف الطريق.. أخذوا يتسللون..زاحفين أو منحنيين.. وجلس

مـؤمن بجانــب الحطب يعد الوقت فـى صدره.. حـتى لما أيقن أنهـم الآن فى المكان الصــحيح.. أشـعـل النار فى الحطب فـأحدثت وهجـاً ودخاناً كـثيـفاً. ورأى سـونجور ورجاله الـنار على البعـد فأيقن أنه عـثر على الصـيد وأن الرفاق الزنوج يعدون طعاماً على النار.. فصرخ فى رجاله فـامـتطوا جـيادهـم وانطلقـوا.. وفى تلك اللحظة خـرج الزنوج من مكمنهم بهدوء حـتى وصلوا إلى شاطئ النهر الضحل.. ولم يحـتاجوا للـطواف بل اندفعوا يخـوضون فى ماء النهر كأنهم يغتسلون من الرق والاستعباد القديم.

ولما سمع مؤمن وقع حـوافر الخيل ربط سيفـه جيداً.. ثم ألقى بنفسه فى النــهر وسبح بكل قوته حتى اسـتطاع العبور دون أن يراه أحد.. فلمـا وصل سونجور للنار لم يجـد أحداً



فأدرك الخدعـة وكاد يضرب رجاله بالسيف وأمـرهم بعبور النهر.. فغرق منهم من غـرق وتراجع الآخرون أما هو فأخذ جـواداً وعرج به نحـو مكانه على النهـر فـوجد الزنوج قـد أغرقـوا طوقه المتـواضع لئلا يلحق بـهم فكاد يموت كـمداً ولكنه غامـر وعبـر النهر على قدمـيه وحـده. وأول ماوصل إلى البر الآخـر وقف يتلفت حوله.. فإذا بنصل سـيف حاد يكاد ينغرس فى ظهره.

ـ من أنت ؟

ـ أنا.. أنا سولجور.. أبحث عن زنوج هاربين.

ـ ألا تعـرف أن الأرض خلـف النهـر لاتعـرف زنجـيـاً من عجمياً ولاأبيض من أسود.

ـ أعرف..أعرف.

ـ أتعرف ماهو جزاء من يحاول إقامة الرق هنا ؟

ـ لا .. لا أعرف.

ـ جزاؤه أن تقطع رقبتك بالسيف.

ـ أرجوك.. معذرة.. هاهو سيفى.. سألقيه فى النهر.

ـ هات.. والآن عـد من حـيث أتيت وإيـاك أن تفكر بعـمل إجرامى هنا

ـ أمرك ياسيدى.. سأعود.. معذرة.. سامحنى سامحنى.

أخذ سـونجور يجـرى فى الماء عائداً من حـيث أتى وهو يتـعثـر ويقع ويقوم يصـرخ ويجـرى وهنا خرج الرفـاق من خلف الأحراش يضحكون ويصفقون لمؤمن.

وبعـد قليل لاح لهم الجبل العـظيم الذى يفـصل المكان عن المدينة.. ورأى الرفـاق النفق الأسود فكانوا يجـرون فى

مـرح وشـوق شـديد.. ولما عـبـروا الـنفق.. كـان چون فى انتظارهم مع أهل البلدة ومـعهم أطـفال وشيـوخ ومشـاعل كثيرة ورأى الزنوج احتفالاً كبيراً.. فبكوا من شدة التأثر.

ولما أحسوا بمعنى الحرية وعرفوا طعمها لم يسعهم إلا أن يشكروا مـؤمن على جهـده الكبيـر ومدت بسمـة يدها إلى قلادة كـانت تخفيهـا من رقبتهـا.. خلعتها وأخـرجت منها جوهرة كانت تتزين بها :

ـ مؤمن.. إياك أن ترفـضها هذه هدية أهدتهـا سيدة القـصر لأمى حـين ولدتنى.. كنت احـتـفظ بهـا لأهديهـا لرجل يعطينى حريتى.

تمت بحمد الله

موعدنا
معكم في المغامرة ٣٣

(الروح الشريرة)

مغامرات مؤمن

أقوى سلسلة مغامرات ظهرت

حتى الآن بإجماع الأباء والأبناء

مع تحيات

دار الدعوة

للطبع والنشر والتوزيع

سلسلة مغامرات عجيبة جدا

١- جوهرة الكهف المسحور.
٢- جوهرة البحر السابع.
٣- جوهرة البركان الأحمر.
٤- جوهرة مملكة الموتى.
٥- جوهرة الأدغال المتوحشة.
٦- جوهرة الصقيع المظلم.
٧- جوهرة البريق الغامض.
٨- جوهرة المدينة المتحجرة.
٩- جوهرة الرمال الملتهبة.
١٠- جوهرة ميناء المذبح
١١- جوهرة معبد الشمس.
١٢- جوهرة السحر الأسود.
١٣- جوهرة مصاص الدماء.
١٤- جوهرة سجن المستحيل.
١٥- جوهرة التنين الطائر.
١٦- جوهرة الديناصور سام.
١٧- جوهرة عقلة الإصبع.
١٨- جوهرة المحيط المخيف.
١٩- جوهرة القلعة المسكونة.
٢٠- جوهرة الزهرة القاتلة.

٢١- الكنز الأسطوري.
٢٢- الأربعين حرامي.
٢٣- الذقن المتحركة.
٢٤- الأرض المقدسة.
٢٥- التمساح الرهيب.
٢٦- الجزيرة المجهولة.
٢٧- المتاهة المخيفة.
٢٨- السباق المحموم.
٢٩- الفرقة الانتحارية.
٣٠- العروق الذهبية.
٣١- جوهرة القلب الميت.
٣٢- جوهرة النفق الأسود.
٣٣- جوهرة الروح الشريرة.
٣٤- جوهرة وادي الهلاك.
٣٥- جوهرة الثقب الأسود.
٣٦- جوهرة حرب الكواكب.
٣٧- جوهرة عصر الزواحف.
٢٨- جوهرة لعنة الفراعنة.
٣٩- جوهرة الأخ الغائب.
٤٠- جوهرة الأميرة والقرصان.

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية
العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ - تليفاكس : ٣٦٣٣١٤ - ٣٦٢٣١٣
مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس : ٤٠١٧٠٥٣